أبا شفيع.. يا لضراوة الرحيل المباغت!

■ تماماً كما هو معراج القدس وقباب أقصاها وأجراس القيامة ومعراج أطفال فلسطين، كان معراجك بالأمس!! ظللت تخوض في وجع فلسطين حتى كنت شهيدها، وفي خنادق نضالك حتى كنت مريدها، وفي حواريات إنسانيتك، حتى كنت وريدها الذي ظل ينزف نداوة حواراته حتى لحظة استشهاده! صعود واحد مشترك، بينك وبين براعم الطفولة الفلسطينية في معراجكم العظيم، عندما أبى براعم الأرض إلا أن تكون معهم في ذلك العرش الجماعي الحاشد الممتد من ياسمين الشام وحورها وكبادها موغلاً في برتقال يافا وصنوبر الجليل وزعتر الكرمل وفورة سنديان جبل النار! حاضر أنت بيننا، وحاضر ملء الغياب، وحاضر أبداً بلا غياب! ها أنت الآن في معراجك مع الذين تفانوا في استقبالك، الكرمي أبو سلمى ويوسف الخطيب وجول جمال وعبد الكريم عبد الرحيم وفواز عيد وسلطان باشا الأطرش وهنانو والشيخ صالح العلي وأحمد مريود وسليمان العيسى ومحمد الدرة وآيات الأخرس وفارس عودة ووفاء إدريس والقائمة تطول!

بروعة تلك البسمة التي استقبلتنا بها طوال عمرك، غادرتنا بها، مفرداً بنداوتها وطراوتها وحدّة انفعالك الوطني الآسر كلما تعلق الأمر بالشام وفلسطين! وامتداداً لكي يشمل ثرى العروبة كافة من محيطها الهادر إلى خليجها الثائر بمجاز ما نحن نريد ونتصور ونعمل لأجله!

آه يا أبا شفيع.. يا لضراوة الرحيل المباغت! ولكنه البادي في العين لحظة اشتعال وميضها الغريب والمتأجج في القلب لحظة ثورانه العاصف والمتوهج في انفعالاتك الهادرة لحظوة كنت تحاور بصمتك الهادر! ها أنت في لحظة طارئة مباغتة ضارية تسلم راية حوارك لآخرين خلفك، وتتأبط ذراعي الشام، وفلسطين مجنون العشق بهما، ثم تودعهما بقبلتين جارحتين، عند باب الغياب، وتمضي.. حتى آخر رمق في أنفاسك، وأنت تصرخ: فلسطين يا شام! ومن تحت بريق وميض نظارتك، التي هي الآن بانتظارك لكتابة يومياتك المؤرقة جداً، تنكسر الدمعة بيننا، والأيدي تلوّح والشالات البيضاء لحرائر فلسطين الشهيدات، وهناك عند سياجات الوعد ترف مرحبة بك.. أيها المعتلي صهوة ريحك باتجاه القدس والجليل ويافا، وأنت الصاعد قبلنا، ومثلنا باتجاه الإسراء الثاني، الذي نختتم به معراجنا القادم العظيم.

محمود حامد

بكّرت الرحيل.. وداعاً!

■ لم أكن قد عرفت الأديب والكاتب الروائي المبدع باسم عبدو، بعد، عندما كتبت حول مجموعته (اعترافات) في جريدة (الثقافة) التي كان يصدرها الأديب مدحة عكاش، رحمه الله...وبعد معرفتي به عن كثب بدأ مشوار الصداقة بيننا... لم أحسب أنني سأفارق ذلك الأديب الذي التقيته قبل عقدين ونيف في قهوة الروضة، مع مجموعة من الصحب، وشكّل في ذاكرتي انطباعاً من اللحظات الأولى أن الطيب والموقف الواحد الثابت ينفح عبيره بين دلالات كلامه، وكانت الابتسامة الصادقة لا تفارق محياه.. وعرفته وقوراً محباً للعلم والمعرفة، ولعلني بذلت جهداً لأكتسب من اهتمامه..لطيبه الذي لا يوصف...

وحينما تشرفت برواياته (جسر الموت)، و(احتراق الضباب)، و(زهرة في الرمال)، شعرت أنني أمام كاتب وأديب مبدع له رؤيته الثقافية وهمومه وشجونه الاجتماعية والإبداعية، قبل أن يصبح رئيساً لتحرير جريدة (النور) السورية، وطلب منّي أن أكتب معه مقدماً لي يد المساعدة وهو الأديب المعروف والحصيف المميز..وأخذ يمدّني بعونه ويصحّح أخطائي الكتابية..وحين ألتقيه أشعر بدفء حنانه وصدق مشاعره نحو الصداقة.

باسم عبدو الذي لم يكن متكلفاً بشيء كان يسعى بكل قواه من أجل وطنه.. بنظافة يده ولسانه، عمل سنوات في تحرير مجلة (دراسات اشتراكية) فجعل من بركان إبداعه ناراً وضاءة في سماء القصة القصيرة والأدب، واتخذ من قلمه ومتخيله الواسع وسيلة للتعبير عن آلام الناس وهمومهم.. وكذلك فعل في (النور) حين كان يحرر صفحة (شرفات الكلام)، وزاويته الأسبوعية، فيقدم لنا رؤيته وتطلعاته السياسية والثقافية والنقدية الأدبية.

وحين أصدرت كتابي الأول (فهد بلان.. الفنان الإنسان) كتب عنه بصدق المشاعر ومحبة الصديق الصدوق .. فلغته الشعرية تجعل المتلقي يعيش بين ثنايا الدلالات لديه، وعمق تفكيره التحليلي يرتقي إلى درجة عالية بين غيوم الحق والحقيقة...أخذ بيدي إلى درجة أنه بات يصحح أخطائي التي لا تحصى..ويتحمل أعباء المعاناة مع صحب له لأجلي.. وقدمني إلى أماكن لم أحلم بها.. ونشر لي مقالات في صحف كنت تواقاً للكتابة فيها.. ومنحني الثقة أن أكون صديقه بعد جلسات أدبية طويلة.. وخاض تجربة جديدة عضواً في المكتب التنفيذي في اتحاد الكتاب العرب..

أبو شفيع، الحامل قيمة خاصة قلما يتمتع بها غيره من الإخلاص في العمل وقيمته..فكان يكتب ويكتب ويقدم انطباعات تواكب الأحداث الجارية.. واثقاً أن الوطن لن ينسى له ذلك التعب والجهد...

أبو شفيع بكّر الرحيل..وترك في القلب حسرة.. كيف ترحل أيها الغالي وصوت الأصدقاء يحتاج إليك؟!كيف ترحل والحياة تتماهى مع صدقك وإخلاصك ووفائك؟

أبا شفيع، كنت الصديق الصدوق .. والأخ الرؤوف.. والمعلم الشغوف...كيف أنسى أنك قدمت لي الكثير من فكرك وإنسانيتك للنهوض بتقصيري؟!كيف أنسى أنك المرشد لي؟! لقد كان وقع الخبر على مسامعي صادماً...ليتني لم اقرأ ذلك الخبر... عهداً عليّ يا صديق الوفاء أن تبقى في الذاكرة.. وأن تبقى سجاياك ثقافة لي.. وأن تبقى وساماً ذلك أنني في يوم من الأيام كنت إلى جانب أخي ورفيق دربي ومعلمي باسم عبدو... هنيئاً للسماء بك.. ولتتنزل شآبيب الرحمات على روحك الطاهرة!

معين حمد العماطوري

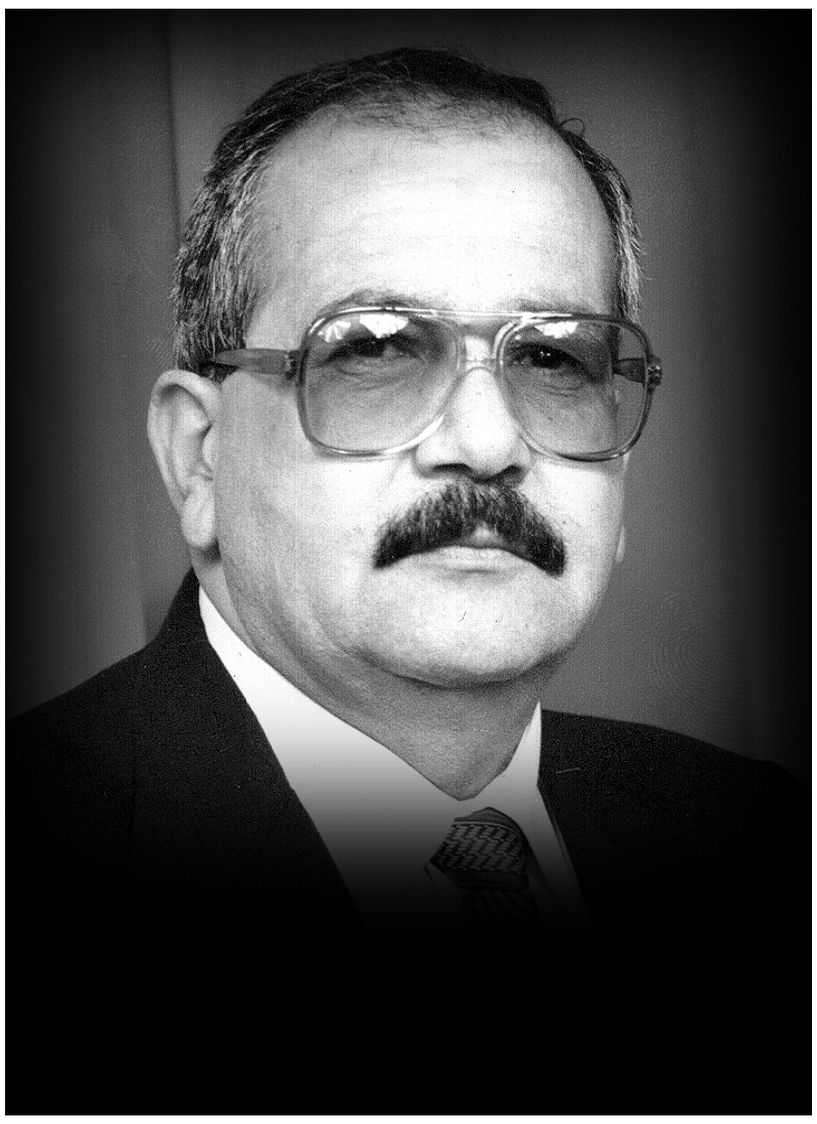

عجّلت الرحيل

■ أبو شفيع.. رجل على مساحة الوطن.. عرفتك قبل أربعين عاماً شاباً متوقداً وتفيض بالحيوية والنشاط، حملت هموم الناس قبل أن تحمل همومك، آمنت بأن الحياة جديرة بأن تعاش.. جمعت في الممارسة بين القول والفعل.. كان لاسمك فيك نصيب، وكان فيما تكنّيت به (أبو شفيع) شفيع لك ولغيرك.. كان لطيفك الواسع حضور سياسي في المكتب السياسي، وكنت صحفياً في رئاسة تحرير جريدة (النور)، وأدبك أهّلك لتكون عضواً في المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب.

كان لـ(خيط من نور) في الصفحة الأولى من جريدة (النور) نور تضيء درب من ضلّ الطريق، تطالع به القارئ كل أسبوع.. حملت فكراً نيراً، وبقيت أميناً على مبادئك طوال حياتك رغم المتغيرات والمنعطفات الحادة، ولم تضلّ الطريق، وكان الهدف أمامك واضحاً.. كنت وطنياً بامتياز، وأدركت منذ اليوم الأول عبء الحدث وحجم الخطر الذي يتعرض له الوطن، فكان لك الموقف الواضح والصريح، والتحليل الدقيق لما يجري، وعبرت عن ذلك بصراحة السياسي والصحفي والأديب، واستخدمت كل العبارات التي تبرهن عن صوابية موقفك المبنيّ على صدق الانتماء.

أبا شفيع، لم أكن أعلم بأن الساعتين الأخيرتين اللتين قضيتهما برفقتك أثناء قيامنا بزيارة إلى أحد الرفاق في مشفى المجتهد ستكون آخر ساعات اللقاء، لذلك كان وقع الفراق صعباً وحمله ثقيلاً.. عذراً أبا شفيع، لقد خانتني الحروف، وغابت عن ذاكرتي الكلمات.. أبا شفيع.. الحاضر دائماً، عجّلت الرحيل! فلماذا؟!

المحامي فؤاد البني

مفارقة موجعة

د. عاطف البطرس

■ لأول مرة منذ أكثر من ٦ سنوات تصدر جريدة (النور) من دون زاوية (مفارقات) التي حرص مشرف الصفحة على كتابتها مهما كانت الظروف التي يمر بها، ولم يوقفه عن ذلك إلا رحيله المرعب.

زاوية (مفارقات) تناولت هموم الناس وحملت شكواهم، منها انبعثت أنّات الموجعين، وخيبات الحالمين، وانكسارات المهزومين في معركة الحياة القاسية.

كانت روح السخرية المرة والموجعة، الطابع الغالب على الزاوية التي عكست جزءاً من طبيعة أبي الشفيع، الجدّية الساخرة، المتألمة المتفائلة، فمن أراد أن يتعرف على الفقيد بعيداً عن رواياته وقصصه، فليقرأ (مفارقات)، ففيها يجد ما يبحث عنه من وصف ولغة شاعرية وسرد قصصي وخاطرة وجدانية.

(مفارقات) خلطة أجناسية لن ينجح في تقديمها إلا قلم باسم عبدو، متعدد المهارات.

في برنامج إذاعي عن الفقيد الراحل على الهواء مباشرة، سئلت: في عنوان كلمتك في تأبين أبي شفيع قلت: بعيداً في الغمام.. عميقاً في التراب، فماذا تقصد بذلك؟

حقاً، قبل أن أستعير هذا العنوان، لم أفكر به ولا بماذا يعني، وما هي دلالاته. وفجأة وجدتني أجيب: الغمام يحمل المطر، والمطر يجلب الخصب، وهو مقدمة الربيع، فصل التجدد والعطاء والشباب والجمال، ألم يكن أبو شفيع كذلك؟

أما (عميقاً في التراب)، فبعيداً عن اللاهوت والتصاقاً بالواقع، ألسنا من التراب وإليه نعود؟ ألم يكن أبو شفيع شديد الصلة بالواقع، ملتحماً به، متفهّماً لحركته، مدركاً لتناقضاته، قابضاً على نبضه، منحازاً للقوى الطليعية فيه؟

ألم يعشق أبو الشفيع تراب هذا الوطن، ويسخّر قلمه في خدمته والدفاع عنه موحَّداً، حراً، سيداً، سعيداً..؟

وها هو اليوم يندفع عميقاً إلى جذوره، فكما كان في حياته مغموساً بتربته، هو اليوم يتحلل، ليذوب فيها من جديد.

أيها القراء الأعزاء، ويا أصدقاء الفقيد، لن تجدوا بعد اليوم (مفارقات) أبو شفيع، الذي آثر أن يوقّع مفارقته الأخيرة بغيابه المفاجئ.. أليست هذه مفارقته الكبرى...

إنها سخرية الحياة المشبعة بالكآبة والمرارة.

atef.albbo71@gmail.com

يوم قابلت رئيس التحرير

■ صباح كل يوم سبت، وبينما أنا في ذروة توتري وانشغالي بالمادة التي سأرسلها إلى الجريدة، يرن جهاز المحمول في التوقيت نفسه ، ليأتيني الصوت الهادئ الوقور: (كيفك ست هيفا... لم ترسلي لنا شيئاً اليوم؟) عندئذ ألجأ إلى الكذبة الأقرب مدعية بأن المادة جاهزة لكن انقطاع الكهرباء أعاقني عن إرسالها، فيتابع: لا بأس، على مهلك، ولكن لا تنسي إرسالها. وحالما أغلق المحمول أسرع إلى مادتي مصممة على كتابتها دون تلكؤ مهما كانت مشاغلي اليومية كثيفة، يدفعني إلى ذلك شعور قوي بالمسؤولية يخلقه لدينا التعامل مع الشخصيات الصادقة والمخلصة في عملها. السبت الفائت افتقدت الصوت المعتاد، وفي يوم الأحد أيضاً لم أسمعه، بل جاءني صوت آخر ليبلغني نبأ الرحيل المحزن، والذي كان مفاجئاً، نظراً لما كان يبديه الفقيد من نشاط وهمة لا تنبئ بأي عارض مباغت.

لا أحب الرثاء، ولكننا لا نملك إلا الذكرى إزاء الراحلين، لذا عادت ذاكرتي فوراً إلى اللقاء الأول الذي جمعني بالأستاذ باسم عبدو، كنت في زيارة للجريدة التي بدأت أكتب فيها، وبينما أجلس في واحد من مكاتبها الصغيرة التي تشعر الإنسان بالألفة، إذ دخل الأستاذ ليسأل عن شيء ما، فقدمني إليه أحد الزملاء باعتباري من الكاتبات الجدد في الجريدة، رحّب بي، وتكلمنا عن بعض نقاط العمل، مقدماً إلي بعض الاقتراحات المفيدة، وما أثار إعجابي وقتذاك هو رؤيتي لرئيس تحرير صحيفة يجول بين مكاتب زملائه باعتباره واحداً منهم، بينما الصورة التي نعرفها لرؤساء التحرير هي أن (يتمترس) واحدهم وراء مكتبه الضخم الفخم رافضاً التزحزح من هناك، وكأن شخصاً آخر سيركض ويحتل مكانه فوراً لو تحرك! مكاتب يصعب اجتياز أبوابها وحجّابها، وإن أسعفك الحظ واستطعت اجتيازها، وحظيت بمقابلة (الصدر الأعظم) القابع خلفها، فإن المقابلة ستكون حتماً بلا طائل، مع أنك لن تطلب شيئاً سوى أن تكتب على صفحاتها.

في زياراتي التالية لجريدة (النور)، صرت أشعر دوماً بأني في بيتي وبين أهلي، وصار من المألوف لدي أن أرى رئيس التحرير جالساً مع زملائه في مكاتبهم يبادلهم الأحاديث والآراء بروح أخوية بسيطة، فصرت أتساءل ثانية: ولم لا يكون الوضع هكذا في كل الصحف؟ كم كان الوضع سيختلف لو تعامل هؤلاء معنا بهذه الروح الجميلة، بدل الروح الإقطاعية التي تجعلهم ينظرون إلى المؤسسة التي يديرونها باعتبارها ضيعة ورثوها عن أجدادهم!

وما أكثر الآمال الشابة التي خابت منذ مطلع حياتها، لأنها لم تجد الفرصة للتعبير عن نفسها! فكان أن تاهت في دروب صحافة صفراء لا أصالة لها ولا هدف سامياً تحمله، أو تشتّتت في مفارق حياة ومهن لا علاقة لها بالصحافة، إلا كعلاقة جدتي بعلم الذرة!

حقيقة لم نكن بحاجة إلا لبعض التشجيع والتحفيز الذي افتقر إليه الكثيرون، والذي كان الفقيد غنياً به، مما جعلنا نستمر بالعمل رغم كل الصعوبات، وأذكر في إحدى المرات، وأمام زملائي أن خاطبهم الأستاذ مشيراً إلي: يجب أن تمنح جائزة خاصة لكونها موظفة وأم لأربعة أطفال، وفوق ذلك تقدم للجريدة مواد جميلة... وقتذاك أحسست بأني قد نلت وساماً رفيعاً، وأمدّني بقوة وإيمان أشد تجاه عملي. وربما مما يؤسف له أن نكتشف بعد فوات الأوان أننا لم نقدم الشكر كما يجب لمن يستحقه، إذ يكون الموت أسرع منا، فشكراً لك يا أستاذنا، وسلاماً لروحك التي ستبقى معنا!

هيفاء عجيب

ثلاثة أرباع العمر

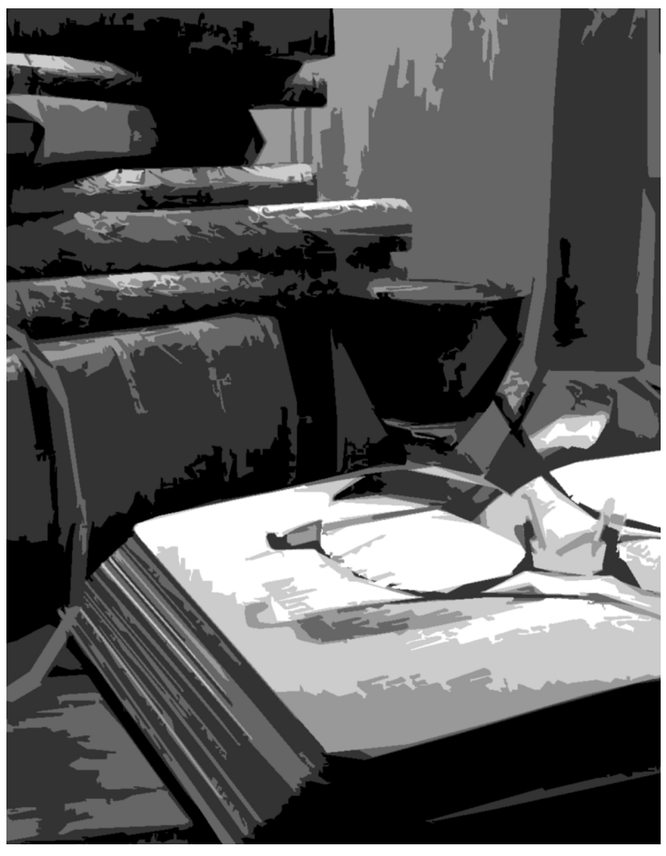

(والله شي يقهر.. يقهر)..
من أغنية لذياب مشهور

* غير معقول يا أخي، هذا الذي حصل في المسابقة.. كان النقل فيها (على أبو موزي)!

** إن كان (على أبو موزي)
أو (على إم...)

ما وجه الغرابة فيما حصل؟ منذ قال لها: كوني، فكانت، والعقل والنقل على طرفي نقيض، ثم سواء حصل نقل وتنقيل أم لم يحصل، اللعبة مكشوفة وأسماء الناجحين معروفة، قبل الإعلان عن المسابقة.

كل ما هنالك أن أحد المسؤولين الكبار، الغيورين على خزينة الدولة وصحة المواطن، ارتأى أن القيام بعمل كهذا في الوقت الراهن، من شأنه أن يحقق أهدافاً عدة بمسابقة واحدة.

* حبذا لو فصّلت أكثر للمستمعين، وذكرت بعضاً من تلك الأهداف.

** الهدف رقم ١: (بُتسد أبواز) المفسدين المغرضين الذين يشنّعون على الدولة والحكومة (عالطالع والنازل)، لأنهما لا يجريان بين الفينة والفينة، مسابقات، لتجديد الدم في عروق المؤسسات واستيعاب الخريجين والكفاءات.

الهدف رقم ٢: الركض وراء المعاملات الرسمية، وإحضار الأوراق الثبوتية، يخففان من عبء الشحوم على كروش الفقراء، ومن ثقل النقود على جيوبهم.

الهدف رقم ٣ ينشغل المواطن- والمشغول لا يُشغل كما تعلم- خاصة الذي لاعمل له- وهو الأخطر على أمن البلاد والعباد، بالركض خلف الوظيفة، التي ستبقى حسب تعبير توفيق في مسلسل الخربة (هيي تركض وهوّي يركض)!

الهدف رقم ٤: يلتهي المتسابقون والمتسابقات وذووهم وذووهن، ومن يشدون على أيديهم وأيديهنَّ بملاحقة الأوراق المطلوبة (ويحلّون، ذكوراً وإناثاً، عن ظهر السياسيين والمسؤولين.. وكأن هؤلاء لا هم لهم ولا غمّ، ولا حاجات خاصة ولا مصالح (متلتلة)، إلا عمل المواطن ومعيشة المواطن!

أقسم بالله، صارالواحد فينا لا يعرف كيف ولا من أين يتلقى الخوازيف، بينما حكوماتنا الرشيدة، منذ ما قبل الأزمة السورية وحتى يومنا المأزوم هذا، وهي تبيعنا شعارت براقة وأقوال مشعورة.

طرحت (عقلنة الدعم) لبعض المواد، و(إيصال الدعم لمستحقيه) في مواد أخرى، فكان أن جنّت الأسعار وطارت أعلى فأعلى، وازداد الفساد والسمسرة، وبدل أن يصل الدعم إلى مستحقيه، أخطأ العنوان كالعادة، ووصل إلى الساكنين فوقهم، في الأدوار العليا!

هذا شيء طبيعي يا رفيق، ويحدث في أرقى الدول وأرشد الحكومات، ويسمونه المسافة أو الهوّة الفاصلة ما بين النظرية والتطبيق، أو إذا شئت بين الأقوال والأفعال، ولتجسير هذه الهوة و..

* خلّصنا منّك يارفيق، بلا تجسير هوّة ولا تهوية جسر، ما يحدث عندنا، له اسم واحد ووحيد، تعرفه جيداً أنت وغيرك، منذ أكثر من خمسين سنة، وهم يحقنوننا بالمعاني البراقة والكلمات الرنانة، مضى ثلاثة أرباع عمرنا، بانتظار تحقيق ولو جزء بسيط من شعاراتنا المزمنة، فكانت النتيجة أننا تراجعنا عمّا كنّا عليه!

مواطن مقهور

أسماء ودلالات

■ نشرت صحيفة (الثورة) على صفحتها الأخيرة من عددها الصادر بتاريخ ٢٦/١١/٢٠١٥ خبراً مفاده أن سيدة روسية أطلقت اسم (سورية) على مولودتها الجديدة تيمناً بهذا البلد الذي توجه إليه زوجها العسكري مؤخراً ضمن عداد القوات الجوية الروسية التي تحارب التنظيمات الإرهابية المسلحة، وبحسب الخبر فإن هذه الطفلة هي المواطنة الروسية الأولى التي تحمل هذا الاسم في عموم روسيا.

دلالة هذا الخبر على بساطته أبلغ من كل شرح أو تعليق خاصة في ظل التطورات والتبدلات العميقة التي أفرزتها الأزمة السورية وتداعياتها على المشهد الدولي، ولا شك أننا كسوريين لا نملك إلا أن نشعر ببالغ الامتنان إزاء مثل هذه المواقف واللفتات المعبرة عن التضامن والتعاطف مع قضيتنا التي تستحق أن نوليها قدراً أكبر من الاهتمام والمتابعة وأن تفرد لأمثالها مساحة أوسع من مجرد بضعة سطور في صفحة منوعة.

حين قرأت هذا الخبر طفت على سطح ذاكرتي عفواً صورة مألوفة لصبية سمراء لطالما رأيتها في أيام اليفاعة تروح وتغدو على درب نبع الماء في ضيعتنا حاملة جرّتها على كتف تاركة لكتفها الآخر مهمة تأبّط رزمة زوفا أو زعتر بري.. كان اسمها روسيا، وعلى وجه التقريب، تبلغ بنت ضيعتي روسيا من العمر اليوم عقدها الخامس أو تكاد، ولا أخالها الأولى التي حملت هذا الاسم في سورية، فهل خطر لتلك السيدة الروسية أن في سوريا من أطلق اسم بلدها على ابنته منذ ما يناهز نصف قرن على الأقل؟ بل هل تعلم تلك السيدة عدد السوريات اللواتي يحملن هذا الاسم؟ شخصياً أعرف على الأقل اثنتين منهن سوى بنت ضيعتي، وهل تعلم صديقتنا الروسية أو أيّ من مواطنيها كم لدينا في سورية من فتيات وسيدات يحملن أسماء ناتاشا وفالنتينا وكاترين؟

أكثر من ذلك.. هل يصدق أحد في روسيا وفي غيرها أن ثمة أباً سورياً - أعرفه معرفة شخصية أيضاً - اختار منذ عقود أن يسمي طفلتيه (نتالي) و(كاتيوشا)؟

هذه هي روسيا في وجدان السوريين، وعلى وجه الخصوص منهم أبناء الجيل الذين قُدّر لهم أن يعايشوا العصر الذهبي لحقبة الحلم السوفيتي الاشتراكي أواسط القرن العشرين، في حين كان الآخرون في بقاع شتى من العالم يلهثون وراء السراب الأمريكي الغربي، روسيا العظمى بلد العشرين مليون شهيد.. روسيا ستالينغراد وكورسك..روسيا تولستوي وغوركي.. روسيا تشايكوفسكي وريمسكي كورساكوف.. روسيا يوري غاغارين وفالنتينا تيرشكوفا .. روسيا كاربوف وكاسباروف...

منذ أكثر من قرنين قالت الإمبراطورة الروسية كاترين الثانية: (مفاتيح الكرملين موجودة في دمشق)! وكانت تعي ما تقول ولا شك، واليوم صديقتنا الروسية تؤكد باختيارها الموفق لاسم ابنتها مقالة جدتها العظيمة..إنه التاريخ يتحدث فأنصتوا يا أولي الألباب!

مالك عجيب